الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضـي

الحلقة العاشرة بعد المائة

مقدمة البرنامج..

مؤثرات.. ضجيج جماهير كثيرة العدد..

أصوات: تنشد:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع..

"يتردد هذا النشيد في الوقت الذي يبتعد فيه الصمت شيئاً فشيئاً حتى يغيب"..

أسيد: " فترة صمت " الحمد لله.. لقد فرجت يا سعد.. ها هو رسول الله يقدم علينا.

سعد: هل تعلم يا أسيد أنني لم أكن أترقب هذه النتيجة.. لقد كنت أشعر والاجتماعات تتوالى بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم أن ما نتفق عليه هو أجمل من أن يصبح حقيقة واقعة.. لقد صدق الله عز وجل حين أخبرنا أن محمد بن عبد الله قد أرسل هدى ورحمة للعالمين.. وها نحن أولاء نواجه بوادرهما. بالمناسبة ماذا تظن أن اليهود فاعلون؟

أسيد: لن يطيب لهم عيش بعد وصول المصطفى صلى الله عليه وسلم.. فقد كانوا يهددوننا بنبي يأتيهم فيعتزون به علينا ويقاتلوننا به. والحمد لله على أننا قد سبقناهم اليه.

سعد: الحمد لله.. هل تعلم يا أسيد أنني إذا أسفت لشيء فهو أسفي لغيابي عن بيعة العقبتين الأولى والثانية؟

أسيد: وأسفك في مكانه.. الحق يا سعد أننا أثناء حديثنا إلى محمد عليه السلام شعرنا بما يشعر به المسافر الظامىء في المفازة الكبيرة حين يقع على مورد من الماء في الوقت الذي بدأ يستسلم فيه للموت عطشاً.. لقد أحسسنا جميعاً أنه الرجل المرتجى القادر على تأليف القلوب وجمع الكلمة. فكنا نتسابق إلى مصافحته ونتيمّن بوجوده بيننا..

سعد: هل تقول لي يا أسيد ما هو الاتفاق الذي عقدتموه معه؟

أسيد: لن أقول لك تفصيل حوارنا لكن يكفي أن تعلم أنه قد طالبنا بالدخول في دين الله والتعهّد بحماية هذا الدين من كل عدوان عليه وبالدفاع عن سلامته هو شخصياً.

سعد: وبماذا قابل هو هذا التعهد؟

أسيد: لقد كفانا شيء واحد نعتبره جميعاً أعظم هدية تقدم إلينا. هذا الشيء هو تحررنا جميعا أوساً وخزرجاً من الخوف والمنازعات التي طالما مزقت صفوفنا وجعلت بأسنا بيننا شديداً.. يكفي يا سعد أن الواحد منا قد أصبح يشعر بعد

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

اجتماعنا على هذا الدين الجديد بأنه آمن على نفسه من الغدر.. وأن في وسعها أن ينصرف إلى أهل بيته.. يشهد الأسواق ويعمل فيها.. أو يغرق الأرض ويهتم بنتائجها وثمراتها. لقد أصبحنا به أمة واحدة لا قبائل يراقب بعضنا بعضاً ويقاتل بعضنا بعضاً..

سعد: صدقت يا اسيد.. فإنّ في خروج العرب كلهم من أوس وخزرج للقائه عليه السلام في هذا اليوم الأغر الآية على سلامة ما اخترناه لأنفسنا برعاية من الله عز وجل ورحمة منه.

أسيد: فما رأيك إذاً في أن نلحق بالقوم قبل أن يسبقونا إلى محمد؟

سعد: أتدعوني إلى الخير وارفضه. هيا بنا إليه فإنّ في طلعته المباركة ما يغنينا عن متاع الدنيا كلها..

حصانان ينطلقان.. ثم يرتفع صوت المنشدين شيئاً فشيئاً حتى يشتد ويعود بعد ذلك إلى الانخفاض..

نقلـــــة.....

مساعد: نحن الآن أيها الأخوة.. أيها الأبناء.. مع أهل المدينة المنورة وقد خرجوا فرساناً ومشاة شيوخاً وشباناً وأطفالاً ونساء لاستقبال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

سالم: وبذلك نكون قد بدأنا رحلة فريدة نتعرف فيها إلى أبعاد الماضي الذي جاءت فيه دعوة الإسلام نموذجاً لصورة المستقبل التي نطمح إلى تحقيقها..

جاسم: حسن جداً.. فما هي المهمة الأولى التي بادر محمد عليه السلام إلى القيام بها بعد استقراره بين أنصاره الجدد من الأوس والخزرج؟

مساعد: من الطبيعي يا جاسم أن يعمل النبي عليه السلام على بناء الجماعة الإسلامية التي ينتظر أن تخرج إلى الدنيا على صورة النموذج الحي القادر على مواجهة كل الشعوب والأمم واستيعاب حاجاتهم النفسية والمادية والاستجابة لكل التحديات التي تعترض طريقه.

سالم: وكان الدخول في الإسلام هو المقدمة التي لا يستغني عنها لبناء الجماعة الإسلامية. فنجاح الجماعة مشروط بوجود العقيدة ا لمشتركة والتنظيم المشترك والانضواء التام في النظام الجديد.. واجتماع العقيدة والتنظيم الذي تجىء به شريعة السماء، ويعمل باستمرار على ضمان الحقوق داخل الجماعة وعلى توفير قانون خلقي يرتفع بالناس عن فوضى المنازعات الدائمة ويحمي الجماعة من عدوان الكبار على الصغار والأقوياء على الضعفاء..

جاسم: هذه مقدمات متفق عليها ولكنها مقدمات نظرية.. المطلوب أن نعرف كيف تم انتقالها من خير النظر والكلام إلى حيز الفعل والعمل؟

مساعد: الحقيقة يا جاسم أن محمداً عليه السلام قد بادر إلى استدعاء الكبار من رجال المدينة في الأيام الأولى التي عقبت وصوله صلى الله عليه وسلم إلى قباء. فاستجابوا لدعوته وتشاوروا فيما يجب أن يفعلوه. كما اجتمع اليه المهاجرون الذين خلفوا قومهم في مكة واختاروا الجهاد في سبيل الله متنازلين عن كل ما لهم من متاع في مساقط رؤوسهم. وكان عدد من هؤلاء المهاجرين قد سكن في قباء نفسها.

جاسم: هل صحيح أن نواة الجماعة الإسلامية في المدينة قد تألفت من المهاجرين ومعهم نقباء أهل المدينة الإثنا عشر الذين انتخبوا عن قومهم ليلة بيعة العقبة الثانية؟

سالم: بلى يا جاسم.. وهنا يجب أن ندرك ظاهرة هامة. إن مجرد تفكيره عليه السلام في أن يطلب من أهل المدينة الذين بايعوه في العقبة الثانية انتخاب من يمثلهم من النقباء ليشتركوا معه. في تدبير أمر الجماعة التي قرر تنظيمها في المدينة يعطينا صورة عن تفكيره في هيكلية هذه الجماعة.

جاسم: فما هي هذه الهيكلية التي تتحدث عنها؟

سالم: إنها في أن تتألف الجماعة الإسلامية من رجال أحرار مؤمنين يتشاورون في تدبير أمور الجماعة ويسترشدون بتوجيهاته صلى الله عليه وسلم. والجدير بالذكر أنه لم يكن يقطع دونهم أمراً اللهم إلا ما يتصل بوحي السماء فهو يقوم منهم هنا مقام الشارح والمعلم والموضح كما يقوم مقام القدوة لهم.

مساعد: مما يلفت النظر أيضاً أنه عليه السلام قد نزل في دار أبي أيوب الانصاري الخزرجي. وكان أبو أيوب هذا رجلاً من أوساط الناس. لا هو بالغني ولا هو بالفقير.

جاسم: ولماذا اختار هذه الدار بالذات ولم ينزل في دار كبير من كبراء القوم من أوسيين وخرجيين؟ إن منطق الأحداث كما نفهمه نحن يفرض أن تكون دار كبير منهم محلاً لنزوله.

سالم: كلا يا جاسم فإنّ هذا لا يتفق مع خطته صلى الله عليه وسلم ذلك لأن الجماعة التي كان يعمل على إنشائها هي جماعة الأوساط من الناس. إن هواه كان مع الأوساط والملاحظ أن الرجال الذين كانوا يشيرون عليه ويعاونونه ويعيشون بالقرب منه أكثرهم من أوساط القوم. من أجل ذلك اختار النزل في دار أبي أيوب..

مساعد: وهناك تفسير آخر مكمل لما جاء به أخي الأستاذ سالم.. إن اختيار دار كدار أبي أيوب الأنصاري خطة ذكية نابعة من إدراك عميق للنزعات البشرية.. فأبو أيوب الأنصاري لا يقف في مركزه بعيداً عن الفقراء ولا يعتبر في مكانته تحدياً للوجهاء والأغنياء. إنه يمثل الوسط الذي يمكن أن تتلاقى فيه كل الطبقات والفئات. وبذلك تتخذ السلطة في هذه الجماعة صفة الشمول.. التي ترضي الفقراء ولا تغضب الأغنياء..

جاسم: إذاً نستطيع أن نقول: إن هذا التدبير نابع من اجتهاد شخصي ومن الرؤية الحكيمة للأشياء.

سالم: والاجتهاد هنا والرؤية الحكيمة من ثمرات التربية الإسلامية.

جاسم: سؤال آخر يتعلق ببدء بناء الجماعة الإسلامية. لماذا كان إنشاء المسجد أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم؟

سالم: هذه أيضاً خطوة رمزية تدل إلى طبيعة البنية الجوهرية للجماعة الإسلامية. إن الملاحظ أنه عليه السلام قد بنى المسجد واختار له مكاناً في وسط المدينة تقريباً. وهو لم يجعله مكاناً للصلاة وحسب بل جعله مركزاً لتدبير شؤون الناس والإشراف على مصالحهم.

مساعد: وهذا يعني يا جاسم أن المسجد في الإسلام مكان روحي لجماعة المسلمين ومركز للحكم أيضاً.. لكأنه صلى الله عليه وسلم قد أراد أن يعلم المسلمين بأن المجتمع الإسلامي الصحيح هو المجتمع الذي يتوحد فيه مركز الحكم ومركز العبادة. والمركزان مختلطان متداخلان.. لأن الحكم كالصلاة عملية تعبدية.

جاسم: أعتقد أن تفسيركما للمحاولة صحيح جداً. لأنه صلى الله عليه وسلم قد بنى بيوته عند المسجد وبذلك جعل منه ميداناً لكل أنواع نشاطه فلا يعود يصرفه عنه صارف ما دام أن سكنه هو عند أحد أطرافه. يبقى أن أسأل سؤالاً آخر.

مساعد: وما هو هذا السؤال؟

جاسم: هل صحيح أنه عليه السلام قد أمر ببناء الصفة في الطرف المقابل لناحية القبلة؟ لماذا بناها؟ وماذا تعني الصفة؟

سالم: أما الصفة فهي كما جاء في كتب التاريخ سقف أو ظلة مقامة بعرض الجدار تحملها جذوع نخل ويجلس تحتها من أطلق عليها اسم أهل الصفة.

مساعد: ولكي نجيب عن السؤال الخاص بسبب بنائها يجب أن نعرف من هم أهل الصفة؟ أما كتب السير والتاريخ فتقول: إنهم قوم من الفقراء اختاروا الإقامة الدائمة قرب المسجد للقيام بخدمته والتعبد فيه.

جاسم: لكن وصف الفقراء لا ينطبق على كثير منهم. فلماذا غلب على المؤرخين أن يلحقوهم بفئة الفقراء. إنّ فيهم أبا ذر الغفاري وأبو ذر لا يمكن أن يكون قد عاش على الصدقات. وفيهم عمار بن ياسر وخباب بن الأرتّ.. وصهيب الرومي وقد كانت لهم بيوتهم المعروفة في المدينة؟

مساعد: أعتقد أن ملاحظتك في محلها يا جاسم.. وهذا يعني أنه يجب أن تكون لأهل الصفة أعمال خاصة ووظائف معينة لم يتحدث عنها المؤرخون وكتاب السير. وليس أدلّ إلى ذلك من أن نفراً من أهل الصفة كانوا في خدمة الرسول فيقومون له وللمسجد بأعمال لا يقوم بها غيرهم..

سالم: وإذا صح هذا التفسير فقد وجب أن تكون لأهل الصفة مهمات خاصة في صميم الهيكلية العامة للجماعة الإسلامية.. ومهما يكن الأمر فان الملاحظة التي تفرض نفسها فيما عرفناه حتى الآن هو أن الجماعة الإسلامية في صورتها النموذجية يجب أن تكون متحدة بهيكل الحكم حيث يلتقيان في المسجد الذي هو رمز للعبادة والحكم في آن معاً.. إن العودة إلى الماضي قضى العودة إلى بناء مجتمع تكون فيه الدولة والجماعة كما يكون وجها القطعة النقدية كل منهما مكمل للآخر بل متداخل معه.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهايـــــة.....